تهذيب المظهر العام من خلال آيات القرآن الكريم

د. بكري محمد بخيت أحمد [!]

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم وبعد .

فإن من أعظم نعم الله علينا أن خلقنا وسوانا و هدانا إلى الصراط المستقيم ورضي لنا الإسلام دينا أتم به علينا النعمة وأرسل إلينا خير مبعوث وأفضل مرسل النبي الأمي الكريم الذي بلغ الرسالة وأدي الأمانة وتركنا علي المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك لأنه جاء كما وصفه ربنا سبحانه وتعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) [1] وقال هو عن نفسه (إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق) [2]

فالأخلاق والسلوك كانت من أهم ركائز دعوته » فلا غرو أن نجد أن القرآن الكريم قد أولي هذه المسألة كل العناية منوهاً إلي السلوك العام والخاص حاضاً على مكارم الأخلاق (إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ) [1] ومحذراً وناهياً عن رذائلها (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

[!] د. بكري محمد بخيت أحمد .

(1) سورة الأنبياء آية رقم (107)

(2) رواه الإمام أحمد ، المسند (فهرس أللباني) ط المكتب الإسلامي ، ج2 ، ص 381

(1) سورة النحل الآية رقم (90)

يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (2)

ومما أشار إليه القرآن الكريم في مسألة التهذيب المظهر العام . لأن الظاهر يدل على الباطن غالباً وكما تقول العرب (كل إناء بما فيه ينضح) فالظاهر دلالة قوية على الباطن ، وبحسب ما يظهر من الإنسان يحكم عليه بحكم الشريعة والله هو الذي يتولي السرائر (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِناً) (1)

وفي هذا البحث سنناقش موضوع المظهر العام من خلال آيات القرآن الكريم بياناً وتفسيراً وتصحيحاً، لبعض المفاهيم التي تحاول أن تصور الإسلام على أنه دين لا يهتم بالجمال ولا المظهر ولا الذوق العام .

فالإسلام دين الجمال لأن الذي شرعه جميل يحب الجمال وسنناقش هذا الموضوع في المباحث التالية .

المبحث الأول : مظهر الكلام

المبحث الثاني : مظهر المشي

المبحث الثالث : مظهر الملبس والهيئة

---

(2) سورة الحجرات ، آية رقم (11)

(1) سورة النساء ، آية رقم (94)

المبحث الرابع : مظهر الطريق العام

ثم الخاتمة

نسال الله الإعانة والتوفيق والسداد .

المبحث الأول

مظهر الكلام :

النطق والكلام هو نعمة عظيمة أنعم الله تعالى بها على الإنسان وفضله بها علي كثير ممن خلق حيث ركَّب فيه من الحواس والأعضاء التي تجعله يبين ما يريده ويتواصل مع الآخرين أخذاً وعطاءً قال تعالى (الرَّحْمَنُ(1) عَلَّمَ الْقُرْآنَ(2) خَلَقَ الْإِنسَانَ(3) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ(4) [1]

قال تعالى (وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) [2]

وفي المظهر العام للكلام أدبنا القرآن بالآداب الآتية :

أولاً : أن نحسن القول للناس وأن نكف عن الجهر بالسوء قال تعالى (وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً) [3]

(ومن القول الحسن أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر وتعليمهم العلم وبذل السلام ، والبشاشة ، وغير ذلك من كل كلام طيب . ولما كان الإنسان لايسع الناس بماله ، أمر بأمر يقدر به علي الإحسان إلي كل مخلوق ، وهو الإحسان بالقول ، فيكون في ضمن ذلك النهي عن الكلام القبيح للناس حتى للكفار.

---

(1) سورة الرحمن آيات رقم (1–4)

(2) سورة النحل آية رقم (78)

(3) سورة البقرة آية رقم (83)

ولهذا قال تعالى
(وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) [1]
ومن أدب الإنسان الذي أدب الله به عباده أن يكون الإنسان نزيها في أقواله وأفعاله غير فاحش ولا بذي ، ولا شاتم ، ولا مخاصم ، بل يكون حسن الخلق ، واسع الحلم ، مجاملاً لكل احد)[2]
وقد أشار الإمام الماوردي[3] رحمه الله في كتابه القيم (أدب الدنيا والدين) إلى الشروط التي يكون بها الكلام طيباً ونافعاً فقال (و اعلم أن للكلام شروطاً ، لا يسلم المتكلم من الزلل إلا بها ، ولا يعري من النقص إلا بعد أن يستوفيها ، وهي أربعة :
فالشرط الأول: أن يكون الكلام لداع يدعو إليه ، إما اجتلاب نفع، أو دفع ضرر .
والشرط الثاني : أن يأتي به في موضعه ، ويتوخي به إصابة فرصته .
والشرط الثالث :أن يقتصر منه على قدر حاجته .
والشرط الرابع : أن يتخير اللفظ الذي يتكلم به .
فهذه أربعة شروط متى أخل المتكلم بشرط منها فقد أوهن فضيلة باقيها[1]

---

(1) سورة العنكبوت آية رقم (46)

(2) عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، ط مؤسسة الرسالة (1421هـ ، 2000م) ، ص57

(3) الماروردي (364– 450هـ) هو علي بن محمد بن حبيب كان من وجوه الفقهاء الشافعية وله تصناف عدة في أصول القفه وفروعه . انظر الخطيب البغدادي ، تاريخ بغداد ، ط دار الكتاب العربي بيروت ، ج12 ، ص102 ترجمة رقم 6539

(1) الماردوي ، أدب الدنيا والدين ، ط دار إحياء العلوم بيروت (1408هـ– 1988) ، ص 398 .

وقد نبه الله تعالى عباده المؤمنين إلى أن الكلام الطيب هو عصمة من الشيطان ، ووقاية للعلاقات الأخوية من كلمة ينفخ فيها الشيطان حتى تصير عداءً محكماً . كما قال تعالى (وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوّاً مُّبِيناً) [2]

وهذا تأديب من الله تعالى لعباده أن يقولوا التي هي أحسن (علي وجه الإطلاق وفي كل مجال فيختاروا أحسن ما يقال ليقولوه ... بذلك يتقون أن يفسد الشيطان ما بينهم من مودة . فالشيطان ينزغ بين الإخوة بالكلمة الخشنة تفلت ، وبالرد السيئ يتلوها فإذا جو الود والمحبة والوفاق مشوب بالخلاف ثم بالجفوة ثم بالعداء والكلمة الطيبة تأسو جراح القلوب وتندي جفافها ، وتجمعها علي الود الكريم [1].

(إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ) [2] يتلمس سقطات فمه وعثرات لسانه ، فيغري بها العداوة والبغضاء بين المرء وأخيه، والكلمة الطيبة تسد عليه الثغرات ، وتقطع عليه الطريق وتحفظ حرم الأخوة آمنا من نزغاته ونفثاته) [3].

---

[2] سورة الإسراء آية رقم (53)

[1] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت (1386هـ – 1967م)ج 5 ، ص336

[2] سورة الإسراء آية رقم (53)

[3] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت (1386هـ – 1967م)ج 5 ، ص336

فالمؤمن أن لم يقدر علي القول الحسن في أي موضع من المواضع فليلتزم أدب الصمت كما هو مقتضي الإيمان (ومن كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصمت) [1] فالصمت محاسنه لا تحصي إذا كان في مقابل القول السوء لذا (قال بعض البلغاء ألزم الصمت فإنه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار ، ويكفيك مؤنة الاعتذار وقال بعض الفصحاء ، اعقل لسانك إلا عن حق توضحه ، أو باطل تدحضه ، أو حكمة تنشرها ، أو نعمة تذكرها) [2]

ثانياً : أمر القرآن بخفض الصوت وعدم رفعه في مخاطبة الآخرين كما جاء ذلك في وصية لقمان لابنه (وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ) [3]

أي انقص منه ، أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما تحتاج إليه ، فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤذي [4]

قال صاحب البحر المحيط في تفسير هذه الآية (وغض الصوت أوفر للمتكلم وأبسط لنفس السامع وفهمه ، واغضض من صوتك رد الله به علي المشركين الذين كانوا يتفاخرون بجهارة الصوت ،

---

[1] متفق عليه، انظر صحيح البخاري ، ط المكتبة العصرية بيروت/ج4 ، ص 1903، حديث رقم 6018

[2] الماوردي ، أدب الدنيا والدين ، مرجع سابق ، ص 389

[3] سورة لقمان آية رقم (19)

[4] القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ، ط مؤسسة مناهل العرفان ، ج14 ، ص 71

ورفع الصوت يؤذي السامع ويقرع الصماخ بقوة وربما يخرج الغشاء الذي هو داخل الأذن [1]

ومن أعظم ما أدب الله تعالى به عباده المؤمنين في مسألة رفع الصوت مراعاة مقام النبوة والتأدب وخفض الصوت حين مخاطبة النبي » كما ورد في صدر سورة الحجرات تنبيها علي الأدب الذي يجب أن يراعى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ) [2] أمر الله المؤمنين أن يتأدبوا مع النبي» بهذا الأدب كرامة له وتعظيما ، وسببها أن بعض جفاة الأعراب كانوا يرفعون أصواتهم (أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ) [3] مفعول من أجله تقديره مخافة أن تحبط أعمالكم إذا رفعتم أصواتكم فوق صوته أو جهرتم له بالقول » (إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ) [1]نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فإنه لما نزلت الآية قبلها قال أبوبكر : والله يا رسول الله لا أكلمك إلا سراً ، وكان عمر يخفض كلامه حين يستفهمه النبي » ، ولفظها مع ذلك دال على عمومه ومعني (امتحن) اختبر فوجدها كما يجب مثل ما

---

(1) ابن حيان ، البحر المحيط ، ط مكتبة النصر الحديثة الرياض ، ج7 ، ص 189

(2) سورة الحجرات ، آية رقم (2)

(3) سورة الحجرات آية رقم (2)

(1) سورة الحجرات آية رقم (3)

يختبر الذهب بالنار ، فيوجد طيباً ، وقيل معناها دربها للتقوى حتى صارت قوية على احتمالها بغير تكلف وقيل أخلصها الله للتقوى .

(إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاء الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [2] الحجرات جمع حجرة وهي قطعة من الأرض يحجر عليها بحائط وكان لكل واحدة من أزواج النبي ρ» حجرة ونزلت الآية في وفد بني تميم قدموا على النبي ρ» فدخلوا المسجد ودنوا من حجرات أزواج النبي ρ» ووقفوا خارجها ونادوا يا محمد اخرج إلينا فكان فعلهم ذلك جفاء وبداوة وقلة توقير ، فتربص رسول الله ρ» مدة ثم خرج إليهم فقال له واحد منهم وهو الأقرع بن حابس يا محمد إن مدحي زين وذمي شين فقال له رسول الله ρ» ويحك ذلك الله تعالى (أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) [1] يحتمل وجهين أحدهما أن يكون فيهم قليل ممن يعقل ونفي العقل عن أكثرهم لا عن جميعهم والآخر أن يكون جميعهم ممن لا يعقل وأوقع القلة موضع النفي والأول أظهر في مقتضي اللفظ والثاني أبلغ في الذم .

(وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ) [2]

---

[2] سورة الحجرات آية رقم (4)

[1] سورة الحجرات آية رقم (4)

[2] سورة الحجرات آية رقم (5)

يعني خيراً في الثواب وفي انبساط نفس النبيρ» وقضائه حوائجهم ، وإنكار فعلهم فيه تأديب لهم وتعليم لغيرهم) [3]

ومن هنا نعلم أن رفع الصوت مذموم إلا لمصلحة تقتضي رفعه.

[3] تفسير ابن جزي ، ط دار الكتاب العربي بيروت (1403 هـ – 1983م) ص 701 – 702

ثالثاً : الإعراض عن اللغو وباطل القول

وهذه هي صفة عباد الرحمن الذين وصفهم الله تعالي بقوله (وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً) [1] (والذين لايشهدون الزور) لا يقيمون الشهادة الباطلة أولاً يحضرون محاضر الكذب فإن مشاهدة الباطل شركة فيه (وإذا مروا باللغو) ما يجب أن يطرح (مروا كراماً) معرضين عنه مكرمين أنفسهم عن الوقوف عليه والخوض فيه ، ومن ذلك الإغضاء عن الفواحش والصفح عن الذنوب والكناية عما يستهجن التصريح به [2]

وقال تعالى أيضا في وصف عباده المؤمنين (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ) [3] وقال تعالي (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ(1) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ(2) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) [4]

وكل هذه الآيات تدل على أن من أدب المؤمن أن يترك لغو الكلام وكل ما لا فائدة فيه ، ويدعو لمن يصدر منهم ذلك بالسلامة والبراءة منه .

رابعاً: أشار القرآن إلى الأدب الذي ينبغي على المرأة أن تلتزمه في مخاطبة الآخرين وذلك

---

[1] سورة الفرقان ، آية رقم (72)

[2] البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ط دار الفكر بيروت ، ج3 ، ص99

[3] سورة القصص ، آية رقم (55)

[4] سورة المؤمنون ، آيات رقم (1-3)

لخصوصية المرأة وما لكلامها من بالغ التأثير لأنها موضع الشهوة عند الرجل كما بين سبحانه (زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ) [1] لذلك أدب الله سبحانه وتعالى المؤمنات بقوله مخاطباً أمهات المؤمنين القدوة والمثل لكل النساء (يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً) [2] يقول تعالي : (يا نساء النبي) خطاب لهن كلهن (لستن كأحد من النساء ان اتقيتن) الله ،فإنكن بذلك تفقن النساء ولا يلحقكن أحد من النساء ، فكملن بالتقوى بجميع وسائلها ومقاصدها .

فلهذا أرشدهن إلى قطع وسائل الحرام ، فقال (فلا تخضعن بالقول) إي في مخاطبة الرجال ، أو بحيث يسمعون فتلن في ذلك ، وتتكلمن بكلام رقيق يدعو ويطمع (الذي في قلبه مرض)أي :مرض شهوة الزنا ، فإنه مستعد ينظر أدنى محرك يحركه ، لأن قلبه غير صحيح ، فإن القلب الصحيح ليس فيه شهوة لما حرم الله ، فإن ذلك لاتكاد تميله ولا تحركه الأسباب ، لصحة قلبه وسلامته من المرض بخلاف مريض القلب الذي لا يتحمل ما يتحمل الصحيح ولا يصبر على ما يصبر عليه ، فأدني سبب يوجد ، يدعوه إلي الحرام يجيب دعوته ولا يتعاصى عليه ، فهذا دليل علي أن الوسائل لها أحكام المقاصد ، فإن الخضوع بالقول واللين فيه ، في الأصل مباح ، ولكن لما كان

---

[1] سورة آل عمران ، آية رقم (14)

[2] سورة الأحزاب ، آية رقم (32)

وسيلة إلي المحرم ، منع منه ، ولهذا ينبغي للمرأة في مخاطبة الرجال ألا تلين لهم القول .

ولما نهاهن عن الخضوع في القول ، فربما توهم أنهن مأمورات بإغلاظ القول ، دفع هذا بقوله (وقلن قولاً معروفاً) أي :غير غليظ ولا جاف ، كما أنه ليس بلين خاضع) [1]

وإذا تأملنا في حالنا اليوم نجد أن النساء إلا من رحم الله جهلن هذه التعاليم السمحة وابتعدن عن الالتزام بها لذا كثرت الفتنة بهن فنسأل الله تعالى أن يردنا إليه رداً جميلاً .

خامساً: لما نهى الله تعالى المؤمنين من رفع أصواتهم وأن يعرضوا عن الباطل عصمهم في الجنة أن يسمعوا سيئاً بل يسمعون كل طيب من القول وذلك جزاء ما قد أطاعوا أمر الله تعالى في الدنيا قال تعالى (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً(25) إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً(26) [1] (لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً) أي لا يسمعون في جنات النعيم كلاماً بلغي ، ولا يكون فيه فائدة ولا كلاماً يؤثم صاحبه(إلا قيلاً سلاماً سلاماً) أي إلا كلاماً طيباً ، وذلك لأنها دار الطيبين ولا يكون فيها إلا كل طيب ، وهذا دليل علي حسن أدب أهل الجنة في خطابهم فيما بينهم ، وأنه أطيب كلام ، وآسره

---

[1] عبد الرحمن السعدي ، تسير الرحمن م مرجع سابق ، ص 663

[1] سورة الواقعة الآيات (25 – 26)

للنفوس وأسلمه من كل لغو وإثم نسأل الله من فضله) [2]

ولما لم يلتزم أهل الكفر بأدب الكلام في الدنيا وخاضوا في الباطل وقول الزور ، فإنهم في النار يوم القيامة في أسوأ الأحوال يصيحون فلا منقذ ولا مجيب قال تعالى (حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ(64) لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ) [1] (يعني حتى إذا جاء مترفيهم وهم المنعمون في الدنيا عذاب الله وبأسه ونقمته بهم (إذا هم يجأرون) أي يصرخون ويستغيثون كما قال تعالى (وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلاً(11) إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً(12) [2]

وقال تعالى (كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) [3]

وقوله (لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون) أي لا يجركم أحد مما حل بكم سواء جأرتم أو سكتم لا محيد ولا مناص لزم الأمر ووجب العذاب) [4]

وقال تعالى أيضا مخبراً عن أهل الكفر في النار (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ

---

[2] عبد الرحمن السعدي ، تيسير الكريم الرحمن ، مرجع سابق ،ص 833

[1] سورة المؤمنون آيات (64 – 65)

[2] سورة المزمل آيات رقم (11– 12)

[3] سورة ص ، آية رقم (3)

[4] ابن كثير ، تفسير القران العظيم ، ط مكتبة الصفا (1425هـ – 2004م) ج 5 ، ص 278

كَفُورٍ(36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحاً غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) [1]

يتبين من الآيات المتقدمة أن الكلام من نعم الله تعالى العظيمة علي الإنسان التي يجب عليه شكرها ،ومن شكر هذه النعمة أن يستجيب لما أمره الله تعالى فيها وأن يتأدب بما أدبه من آداب عظيمة بها يكون الخير والصلاح له وللآخرين .

[1] سورة فاطر الآيات (36 – 37)

المبحث الثاني
مظهر المشي :

الله تعالى جلت قدرته خلق كل الدواب من الماء ثم نوع تعالى بقدرته وحكمته الكيفية التي تدب بهاعلي الأرض فقال تعالى (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [1]

وقد أنعم الله تعالى على الإنسان بالمشي وأمره أن يسير على الأرض ويتنقل فيها طلباً لرزقه وزيادة له في العلم بنفسه وبما حوله قال تعالى (هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ) [2]

ولكي يستخدم الإنسان هذه النعمة العظيمة في طاعة الله تعالى جاءت آيات القرآن الكريم مرشدة ومبينة ما يجب أن يلتزمه الإنسان في المشي وما يجب أن يحذر منه ويبتعد ، فجاءت الآداب التالية :

أولاً : امتدح الله تعالى عباده الذين نسبهم إلي نفسه تشريفاً لهم وإظهاراً لفضلهم فقال تعالى (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً) [1]

وجاء في تفسير الطبري لهذه الآية(وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً) بالحلم والسكنية

---

[1] سورة النور ، آية رقم (45)

[2] سورة الملك ، آية رقم (15)

[1] سورة الفرقان ، آية رقم (63)

والوقار غير مستكبرين ولا متجبرين، ولا ساعين فيها بالفساد ومعاصي الله . وقال آخرون بل معني ذلك أنهم يمشون عليها بالطاعة والتواضع . وقال آخرون ، بل معني ذلك : أنهم يمشون عليها بالحلم لا يجهلون على من جهل عليهم)[2]

وكذا جاءت وصية العبد الصالح لقمان لابنه بقوله (وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) [3]

(يقول وتواضع في مشيك إذا مشيت ، ولا تستكبر ، ولا تستعجل ولكن ائتد) [4]

فيعلم مما تقدم أن المشي لطاعة الله بالحلم والوقار والتواضع لله هو مظهر من مظاهر عباد الله تعالى ، كما أشار إلي ذلك المعني النبي ρ» وهو ينهى عن السعي والإسراع في إتيان الصلاة فقال في الحديث الذي رواه عنه الصحابي الجليل أبو هريرة قال سمعت رسول الله ρ » يقول (إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها تسعون وأتوها تمشون عليكم السكينة ، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا) [1]

---

[2] الطبري ، جامع البيان في تأويل أي القران ، ط دار الفكر بيروت ، ج11 ، ص33

[3] سورة لقمان ،آية رقم (19)

[4] الطبري ، جامع البيان ، مرجع سابق ، ج 11 ، ص 76

[1] رواه البخاري في صحيحة، ط دار الحديث بالأزهر ، ج2، ص9 (باب المشي إلي الجمعة)

ثانياً : نهى الله تعالي عن الاختيال والتكبر في المشي فقال تعالى (وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً) [2]

يقول تعالى (ولا تمش في الأرض مرحاً) أي كبراً وتيهاً وبطراً متكبراً على الحق ، متعاظماً على الخلق (إنك) في فعلك ذلك (لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً) في تكبرك بل تكون حقيراً عند الله ومحتقراً عند الخلق مبغوضاً ممقوتاً ، قد اكتسبت أشر الأخلاق واكتسبت أرذلها من غير إدراك لبعض ما تروم).[1]

قال العلامة ابن كثير في ذلك (ولن تبلغ الجبال طولاً) أي بتمايلك وفخرك وإعجابك بنفسك ، بل قد يجازي فاعل ذلك بنقيض قصده كما ثبت في الصحيح (بينما رجل يتبختر يمشي في برديه قد أعجبته نفسه فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلي يوم القيامة) [2] وكذلك أخبر الله تعالي عن قارون أنه خرج علي قومه في زينته وأن الله تعالي خسف به وبداره الأرض وفي الحديث (من تواضع لله رفعه الله فهو في نفسه حقير وعند الناس كبير ، ومن استكبر وضعه الله فهو في نفسه كبير وعند

---

[2] سورة الإسراء ، آية رقم (37)

[1] عبد الرحمن السعدي تيسر الكريم الرحمن ، مرجع سابق ص 457

[2] رواه مسلم في صحيحه ، ط دار المعرفة بيروت ، ج 6 ، ص 149

النـــاس حقيـــر، حتـــى لهـــو أبغـــض إلـــيهم مـــن الكلـــب والخنزير) [3] [4]

دلـت هـذه الآيـات علـى أن الاختيـال والتكبـر مـن أبغـض الأخـلاق فهـي لا تكـون فـي المـؤمن لا فـي قلبـه ولا فـي مظهره.

ثالثـاً : امتـدح الله تعـالى النسـاء فـي سـلوك بنـت نبينـا شـعيب عليـه وعلـى نبينـا أفضـل الصـلاة وأتـم التسـليم حيـث قـال (فَجَاءتْـهُ إِحْـدَاهُمَا تَمْشِـي عَلَـى اسْتِحْيَاء) [1]

(قولـه علـى اسـتحياء يعنـي علـى حيـاء لأنهـا كانـت مقنعـة ولـم تـك متبرجـة ويقـال : علـى اسـتحياء يعنـي : علـى حيـاء لأنهـا كانـت واضـعة يـدها علـى وجههـا ويقال على استحياء أي : مستترة بكم درعها).[2]

يقـول صـاحب الظـلال (علـى اسـتحياء) فـي غيـر مـا تبـذل ولا تبـرج ولا تـبجح ولا إغـواء جاءتـه لتنهـي إليـه دعـوة فـي أقصـر لفـظ وأخصـره وأدلـه ، يحكيـه القـرآن بقولـة (إِنَّ أَبِـي يَـدْعُوكَ لِيَجْزِيَـكَ أَجْـرَ مَـا سَـقَيْتَ لَنَـا) [3] فمـع الحيـاء الإبانـة والدقـة والوضـوح ، لا الـتلجلج والتعثـر والربكـة .وذلـك مـن إيحـاء الفطـرة النظيفـة السـليمة المسـتقيمة ، فالفتـاة القويمـة تسـتحي بفطرتهـا

---

[3] أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ،ط دار الكتب العلمية ج 8 ، ص 102 ، حديث رقم 13067

[4] ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج 5 ، ص 47

[1] سورة القصص ، آية رقم (25)

[2] أبـو الليـث السـمرقندي ، بحـر العلـوم ،ط دار الكتـب العمليـة بـيروت(1413هـ – 1993م) ج2 ، ص514

[3] سورة القصص آية رقم (25)

عند لقاء الرجال والحديث معهم ولكنها لثقتها بطهارتها واستقامتها لا تضطرب ، الاضطراب الذي بطمع ويغري ويهيج ، إنما تتحدث في وضوح بالقدر المطلوب ، ولا تزيد) [1]

وقد دلت سنه النبي ρ وأقواله علي أن التمايل للنساء هو سمة من سمات أهل النار كما قال في الحديث (صنفان من أهل النار لا أرهما بعد ، نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات علي رؤوسهن مثل أسنمة البخت المائلة ، لا يرين الجنة ولا يجدن ريحها) [2]

وقد وجه القرآن بمنع كل حركة تلفت وقاية للأنفس قال تعالى مؤدباً للمؤمنات (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ) [3] يقول صاحب الظلال (ولما كانت الوقاية هي المقصودة بهذا الإجراء وهو التستر وعدم إبداء الزينة ، فقد مضت الآية تنهي المؤمنات عن الحركات التي تعلن عن الزينة المستورة وتهيج الشهوات الكامنة ، وتوقظ المشاعر النائمة ، ولو لم يكشفن فعلاً عن الزينة (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) وإنها لمعرفة عميقة بتركيب النفس البشرية وانفعالاتها واستجاباتها فإن الخيال ليكون أحياناً أقوى في إثارة الشهوات من العيان وكثيرون تثير شهواتهم رؤية حذاء المرأة أو ثوبها أو حليها أكثر مما يثيرها رؤية

---

(1) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج6 ، ص337

(2) رواه الإمام احمد في مسنده ، ط دار الكتب العلمية بيروت ، ج2 ، ص472 حديث رقم 8686

(3) سورة النور ، آية رقم (31)

جسد المرأة ذاته . كما أن كثيرين يثيرهم طيف المرأة يخطر في خيالهم أكثر مما يثيرهم شخص المرأة بين أيديهم وهي حالات معروفة عند علماء الأمراض النفسية اليوم وسماع وسوسة الحلي أو شمام شذي العطر من بعيد ، قد يثير حواس رجال كثيرين ويهيج أعصابهم ويفتنهم فتنة جارفة لا يملكون لها رداً . والقرآن يأخذ الطريق على هذا كله لأن منزله هو الذي خلق ، وهو الذي يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير)[1]

والمشاهد للشارع اليوم يلحظ بعض ضعيفات النفوس لا يراعين الأدب الرباني في الكلام ولا في المشي مما يحتم على دعاة الإصلاح أن يجتهدوا في البيان حتى يعود المجتمع بأكمله إلي ذلك النبع الصافي كتاب ربهم الذي يهدي إلى كل خير وإلى كل فضيلة (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ) [1]

فلابد للأسر أن تعي دورها ولابد للمؤسسات التربوية أن تؤدي ما عليها ولابد أن يكون للسلطان كلمة في تغيير كل مظهر سالب لا يتفق مع تعاليمنا السمحة ، ولابد من الأخذ علي يد الظالم حتى لا تعم البلوى ونتعرض لسخط الله تعالى وأليم عقابه (وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً) [2]

---

[1] سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ، ج6 ،ص 97

[1] سورة الإسراء آية رقم (9)

[2] سورة الإسراء آية رقم (16)

المبحث الثالث
الملبس والهيئة :

خلق الله تعالى الإنسان من الطين وسواه في أحسن صورة وأكمل هيئة قال تعالىَ (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ)[1] ويقول الله تعالي في سورة الإنفطار منبهاً على هذه النعمة العظيمة (يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ(6) الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ(7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاء رَكَّبَكَ(8) [2]

وقد أنعم الله تعالى على الإنسان بأن جعل له لباساً يواري به سوءته ويستر به عورته ويكمل به هيئته حتى تكون حسنة مقبولة قال تعالىَ (يا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشاً وَلِبَاسُ التَّقْوَىَ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ)[3]وقال تعالى مذكراً بنعمته أيضا (وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ)[4] أي (مما تتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها وجلودها من الثياب ، والفرش

---

[1] سورة التين ، آية رقم (4)

[2] سور الانفطار آيات (6-8)

[3] سورة الأعراف ، آية رقم (26)

[4] سورة النحل ، آية رقم (5)

والبيوت) [1] وقال أيضا (جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ) [2]

دلت هذه الآيات المتقدمة أن الله تعالى قد أنعم علينا بالملبس زينة وستراً لعوراتنا وجمالاً لهيئتنا ووقاية لنا من تقلب المناخ من حر وبرد ، وشكراً لهذه النعم العظيمة وجب علينا أن نصرفها في طاعة الله تعالى ونتأدب بما أرشدنا تعالى إليه في شأنها فنفعل ما أمر به ونترك ما نهى عنه . ومن هذه الآداب التي جاء بها القرآن في هذا الشأن .

أولاً : ستر العورات واتخاذ الثياب والملابس زينةً وتجميلاً قال تعالى (يَا بَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ) [3] أي استترا عوراتكم عند الصلاة فرضها ونفلها ، فإن سترها زينةً للبدن كما أن كشفها يدع البدن قبيحاً مشوهاً) [4]

وقد نص الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله أن هذه الآية جاءت رداً على المشركين حيث كانوا يطوفون بالبيت عراةً ثم قال وهو يحكي اعتقادهم في ذلك (كانت العرب ما عدا قرشياً لا يطوفون بالبيت في ثيابهم التي لبسوها يتأولون في ذلك أنهم لا يطوفون في ثياب عصوا الله فيها ، وكانت قريش وهم الحمس يطوفون في ثيابهم ومن أعاره أحمسي ثوباً طاف فيه

---

[1] عبد الرحمن السعدي ، تيسر الكريم الرحمن ، مرجع سابق ،ص 436

[2] سورة النحل آية رقم (81)

[3] سورة الأعراف آية رقم (31)

[4] عبد الرحمن السعدي ، المرجع السابق ، ص 287

ومن معه ثوب جديد طاف فيه ثم يلقيه فلا يتملكه أحد ، ومن لم يجد ثوباً جديداً ولا أعاره أحمسي ثوباً طاف عرياناً وربما كانت امرأة فتطوف عريانة فتجعل علي فرجها شيئاً ليستره بعض الستر فتقول :

*اليوم يبدو بعضه أوكله** وما بدا منه فلا أحله*

روي عن ابن عباس قوله (خذوا زينتكم عند كل مسجد) قال كان رجال يطوفون بالبيت عراة فأمرهم الله بالزينة والزينة اللباس وهو ما يواري السوأة [1]

والأمر بالستر وحفظ العورة عام ليس مقصوراً علي المساجد فقط ويدل علي ذلك سؤال أحد الصحابة رضي الله عنهم قال : (قلت يا رسول الله عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : (احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك) قال : قلت يا رسول، فإذا كان القوم بعضهم في بعض ؟ قال : (إن استطعت ألا يراها أحد فلا يرينها) قلت : فإذا كان أحدنا خالياً قال : (فالله تبارك وتعالى أحق أن يستحيا منه) [1]

ثانياً : روى الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ρ» (لا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من إيمان ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من كبر) فقال رجل : يا رسول الله إني ليعجبني أن يكون ثوبي غسيلاً ورأسي دهيناً وشراك نعلي جديداً ،

---

[1] ابن كثير في تفسير القران العظيم مرجع سابق ، ج3 ، 236 – 237 بتصرف

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده ، ج5 ، ص 5 ، حديث رقم 20056

وذكر أشياء حتى ذكر علاقة سوطه ، أفمن الكبر ذاك يا رسول الله ؟ قال : لا ذاك الجمال ، إن الله جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر من سفه الحق وازدرى الناس [2]

وهذا الحديث أصل عظيم في تعليم المسلمين النظافة والتجميل والجمال في الملبس والهيئة وأن ذلك مما يحبه الله تعالي فإن لبس الثياب الرثة والخروج بهيئة غير منظمة ليس هو من أدب الإسلام فنسأل الله تعالى أن ينتبه الناس لهذه الآداب القيمة.

ثالثاً: آمر الله تعالي أولياء الأمور أن يهتموا بأمر اللبس بالنسبة للنساء فقال تعالى معظماً هذا الأمر بتوجيه الخطاب لخير خلقه ρ» ليكون أولى به أهل الإيمان قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً) [1] وقد وجه الله تعالى الخطاب للمؤمنات فقال (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) [2]

هذه الآيات تدل علي أن القرآن قد زاد المرأة تزكية وطهراً أن كلفها زيادة على الرجل بعدم إبداء الزينة لغير المحارم من الأقرباء وفرض عليها

---

[2] رواه الإمام أحمد في مسنده ، ج1 ، ص 519 ، حديث رقم 3788

[1] سورة الأحزاب آية رقم (59)

[2] سورة النور آية رقم (31)

الحجاب الشرعي ليصون لها كرامتها ، ويحفظها من النظرات الجارحة والعيون الخائنة ويدفع عنها مطامع المغرضين الفجار ولما كان (إبداء الزينة) والتعرض بالفتنة من أهم أسباب التحلل الخلقي والفساد الاجتماعي لذلك فقد أكد الباري جل وعلا ذلك الأمر للمؤمنات بتجنب إظهار الزينة أمام الأجانب ليسد نوافذ الفتنة ويغلق أبواب الفاحشة ويحول دون وصول ذلك السهم المسموم فالنظرة بريد الشهوة ورائد الفجور. [1]

ولكي يحقق حجاب المرأة ولباسها الغاية المرجوة منه لا بد أن تنطبق عليه الشروط التي تجعله مقبولاً مظهراً يؤدي غرضه فعلاً ، ومن هذه الشروط :

1/ أن يكون الحجاب ساتراً لجميع البدن لقوله تعالى (يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ) والجلباب هو الثوب السابغ الذي يستر البدن كله .

2/ أن يكون كثيفاً غير رقيق لأن الغرض من الحجاب الستر، فإذا لم يكن ساتراً لا يسمي حجاباً لأنه لا يمنع الرؤية ولا يحجب النظر ، وفي حديث عائشة أن (أسماء بنت أبي بكر) دخلت علي رسول الله ρ» وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها رسول الله ρ» وقال لها: (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يري منها إلا هذا وهذا وأشار إلى وجهه وكفيه) [1]

---

[1] محمد علي الصابوني ، روائع البيان في تفسير آيات الإحكام ، ط دار الصابوني ، ج 2 ، ص169

[1] رواه أبو داود في سننه ، ط دار الكتب العلمية ، ج 3 ص 64 حديث رقم 4104

3/ ألا يكون زينةً في نفسه أو مبهرجاً ذا ألوان جذابة يلفت الأنظار لقوله تعالى (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) [2] الآية ومعني (ما ظهر منها) أي بدون قصد ولا تعمد فإذا كان في ذاته زينة فلا يجوز ارتداؤه ولا يسمى (حجاباً) لأن الحجاب هو الذي يمنع ظهور الزينة للأجانب .

4/ أن يكون فضفاضاً غير ضيق لا يشف عن البدن ولا يجسم العورة ولا يظهر أماكن الفتنة في الجسم ، وفي صحيح مسلم عن رسول ρ» أنه قال: (صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لايدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا وفي رواية أخري وإن ريحها ليوجد من مسيره خمسمائة عام). [1]

ومعنى قوله عليه السلام (كاسيات عاريات) أي كاسيات في الصورة عاريات في الحقيقة لأنهن يلبسن ملابس لا تستر جسداً ولا تخفي عورة والغرض من اللباس الستر ، فإذا لم يستر اللباس كان صاحبه عارياً .

5/ ألا يكون الثوب معطراً فيه إثارة للرجال لقوله عليه الصلاة والسلام : (كل عين نظرت زانية وإن

---

[2] سورة النور ، آية رقم (31)

[1] رواه مسلم في صحيحة (كتاب اللباس) ج6 ، ص168

المـــرأة إذا اســـتعطرت فمـــرت بـــالمجلس فهـــي كـــذا كـــذا) [2] يعني زانية .

6/ ألا يكـــون الثـــوب فيـــه تشـــبه بالرجـــال أو ممـــا يلبســـه الرجـــال لحـــديث أبـــي هريـــرة (لعـــن النبـــي ρ» الرجـــل يلـــبس لبســـة المـــرأة ، والمـــرأة التـــي تلـــبس لبســـة الرجـــل) [1]

هذه هي شروط لباس المرأة والتي قصد منها صون كرامة المرأة وحماية المجتمع من أسباب الإغراء والغواية فينبغي على أولياء الأمور والمجتمع عامة أن يحرصوا على منع النساء من كل ما يؤدي إلى الفتنة والإغراء كخروجهن بملابس ضيقة أو ذات ألوان جذابة ورفع أصواتهن وتعطرهن إذا خرجن للأسواق وتبخترهن في المشية وتكسرهن في الكلام وأمثال ذلك مما قد جلبه علينا الإعلام الدخيل مما لا يتفق مع مظهر المسلمة الذي حدده القرآن الكريم .[2]

---

[2] رواه أبو داود سننه ، المرجع السابق ، ج3 ، ص81 ، حديث رقم 4173

[3] رواه أبو داود سننه ، ط دار الكتب العلمية ، ج3 ، ص63 ، حديث رقم 4098

[4] محمد علي الصابوني ، روائع البيان ، مرجع سابق ، ج2 ، 384 – 3886

المبحث الرابع
مظهر الطريق العام :

تقتضي مصالح الناس الحركة والتنقل واستعمال الطريق العام الذي يشترك فيه الجميع لذلك نبه القرآن إلي جملة من الآداب التي تجعل مظهر الطريق العام مقبولاً وصالحاً لكل السالكين ، ومن هذه الآداب .

أولاً : وجه الإسلام بعدم اتخاذ الطرق العامة مجالس يجلس عليها الناس وقد جاء هذا التوجيه من قبل على لسان سيدنا شعيب عليه السلام حيث قال مخاطباً لقومه (وَلاَ تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجاً) [1]

(ينهاهم عليه السلام عن أبشع الإجرام وهو أنهم يجلسون في مداخل البلاد ، وعلى أفواه السكك ، ويتوعدون المارة بالعذاب إن هم اتصلوا بالنبي شعيب وجلسوا إليه ، صرفاً للناس عن الإيمان والاستقامة ، كما أنهم يقطعون الطريق ويسلبون الناس ثيابهم وأمتعتهم أو يدفعون إليهم ضريبة خاصة) [2]

وقد جاء الإسلام ووجد الناس يتخذون الطرقات مجالس فنهاهم النبي ρ » عن ذلك موضحاً لهم الأدب الذي يليق بمن جلس بالطريق عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ρ» قال : (إياكم والجلوس بالطرقات) فقالوا : يا رسول الله مالنا من

---

[1] سورة الأعراف ، آية رقم (86)

[2] أبو بكري الجزائري ، أيسر التفاسير، ط راسم للدعاية والإعلان ، ج2 ، ص202

مجالسنا بد نتحدث فيها ؟ فقال :(إذا أبيتم إلا المجلس ، فاعطوا الطريق حقه) قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ قال (غض البصر وكف الأذى ، ورد السلام ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)[1]

فإن من ترك الجلوس علي الطرقات كان محسناً ومن جلس مراعياً حق الطريق الذي بينه الحديث لن يصدر منه إلا كل خير، ولكن نشاهد اليوم هذا المظهر على الطرقات دون مراعاة لهذه الآداب فنسأل الله تعالى أن يختفي هذا المظهر عن طرقنا أو أن يتأدب الناس بأدب الإسلام الجميل .

ثانياً : وجه الإسلام بالاهتمام بتذليل الطريق وإماطة أي أذىً يعترض الناس في سيرهم فإن ذلك من الإيمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ρ» (الإيمان بضع وسبعون ، أو بضع وستون شعبة ، فأفضلها قول لا اله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان)[1]

روى الإمام احمد في مسنده عن النبي ρ» (كانت شجرة تؤذي أهل الطريق ، فقطعها رجل فنحاها عن الطريق ، فأدخل بها الجنة)[2]

---

[1] رواه البخاري (كتاب الاستئذان) ،ج 4 ، ص164 ، حديث رقم 6229

[1] رواه مسلم (كتاب الإيمان) حديث رقم 125 – 58 / 2

[2] رواه الأمام أحمد في مسنده ج 2 ص 407 حديث رقم 8059

وهذا ترغيب للمسلم في أن يهتم بهذا الأمر فإنه مما يدخل الجنة ، وكذلك يحذر المسلم في أن يتسبب في أذي الناس لحديثه»
(من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم) [3]

وعن معاذ رضي الله عنه قال : قال رسول ρ» (اتقوا الملاعن الثلاث البراز في الموارد ،وقارعة الطريق ، والظل) [4] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ρ» قال (أتقوا اللعانين[1]) قالوا ما اللعانان ؟ قال : (الذي يتخلي [2] في طريق الناس أو في ظلهم) [3]

وهذه الأحاديث تدل على اهتمام الإسلام بمظهر الشارع العام والاهتمام كذلك بنظافة البيئة العامة واحترام المرافق العامة والتعامل معها بالطريقة التي تجعلها صالحة للكل حقيقة ومظهراً وشكلاً .

ثالثاً: وكما أدب الإسلام الجالس في الطريق كذلك أدب المار بجملة آداب عليه أن يلتزمها في مروره حتى يكون مصدر خير للآخرين ومنها إلقاء التحية وإفشاء السلام ، وغض البصر وإرشاد السائل وإغاثة الملهوف وإعانة المحتاج حيث ورد في ذلك طائفة من أحاديثه » منها .

---

[3] رواه الطبراني في الكبير ، ط الزهراء ، ج3 ، ص 179 ، حديث رقم 3050

[4] رواه أبو داود في سننه (كتاب الطهارة) ج1 ، حديث رقم 26

[1] الجالبين للعن والسب .

[2] يتبرز أو يقضي حاجته

[3] رواه مسلم (كتاب الطهارة) ج 3 ص 161

قوله عندما سئل عن حق الطريق قالوا وما حقها ؟ قال (غض البصر وإرشاد ابن السبيل ، وتشميت العاطس إذا حمد الله ورد التحية) [4]

وقوله في رحمة الصغير وتوقير الكبير (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا) [1] وقال في السلام والتحية (يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير) [2]

فهذه جملة آداب وتوجيهات تجعل من المسلم مصدر خير في تعامله مع الطريق العام إذا كان ماراً أو جالساً أو متعاملاً فإن هذه المظاهر يكون لها الانعكاس الباطن والذي يظهر من قوله ρ» (والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أفلا أدلكم على شيء إذ فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم) [3]

فقد أوضح هذا الحديث أن الإيمان وهو شيء في القلب يكون بانعكاس الأعمال الظاهرة التي ذكر منها» إفشاء السلام الذي يجلب المحبة للناس والتي هي عنوان المؤمن .

الخاتمـــــة

[4] رواه البخاري في الأدب ، ص 268 ، حديث رقم 1021

[1] رواه البخاري في الأدب ، ص 100 ، حديث رقم 360

[2] رواه البخاري في الأدب ، ص 263 ، حديث رقم 998

[3] رواه أبو داود في سننه ، حديث رقم 4519

الحمد لله الذي وفق لإتمام هذا البحث الذي وقفنا من خلاله على جملة من الآداب التي جاء بها القرآن في مسألة المظهر العام للإنسان وللشارع المسلم الذي له سماته ومميزاته ونستخلص من هذا البحث الدروس الآتية :

أولاً : اهتم الإسلام بتهذيب المظهر العام لأنه دليل على الباطن .

ثانياً : الإسلام دين النظافة والجمال في النفس وفي الثوب وفي الهيئة وفي الشارع العام فلابد أن نرى توجيهات الإسلام في كل ذلك فإن لبس الثياب الرثة وعدم الاهتمام بالهيئة العامة ليس من شعار الإسلام والذي قد يعتبره البعض زهداً .

ثالثاً : حرص الإسلام على مراعاة شعور الآخرين وإحساسهم وكرامتهم حتى لم يرض الجلوس على الطرقات بسبب ما يترتب على ذلك من مضايقة للمارين والمارات والتعرض للوقوع في الممنوع شرعاً مثل النظر إلي النساء ، وشغل القلب بالناس .

رابعاً: طلاقة الوجه وإفشاء السلام والانبساط للناس والتبسم في وجوههم من الصدقات التي يؤجر عليها الإنسان ، كما أنه يمنع المسلم من كل مظهر يزعج الناس أو يؤدي إلى إخافتهم كأن يمشي وهو يشهر سلاحاً .

خامساً : المحافظة على نظافة البيئة العامة والشارع العام من محاسن الأعمال عن أبي ذر قال : قال رسول الله ρ» (عرضت علي أعمال أمتي حسنها

وسيئها فوجدت في محاسن أعمالها أن الأذى يماط عن الطريق ووجدت في مساوئ أعمالها النخامة في المسجد لا تدفن) [1] ، وقال أيضا (مر رجل بشوك في الطريق فقال : لاميطن هذا الشوك لا يضر رجلاً مسلماً فغفر له) [2]

سادساً : على النساء أن يتقين الله في لبسهن ومشيهن وكلامهن حتى لا يكن مصدر إثارة وإغراء للآخرين مما يؤدي إلى انتشار الفاحشة والفساد .

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل

المصادر و المراجع :

(1) القرآن الكريم .
(2)أدب الدنيا والدين ، لعلي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، ط دار إحياء العلوم بيروت ، 1408هـ - 1988م .
(3) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، لعبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي ط دار الفكر بيروت .
(4) أيسر التفاسير ،لأبي بكر جابر الجزائري ، ط راسم للدعاية والإعلان .
(5) الأدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري ، ط دار السلام .
(6) بحر العلوم ، لنصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي ، ط دار الكتب العلمية بيروت 1413هـ - 1993م .
(7) البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، ط مكتبة النصر الحديثة بالرياض .

[1] رواه البخاري في الأدب ، ص 70 ، حديث رقم 230

[2] رواه البخاري في الأدب حديث رقم 229

(8) جامع البيان في تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري ، ط دار الفكر بيروت .
(9) الجامع لأحكام القرآن ، لمحمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، ط مؤسسة مناهل العرفان .
(10)الجامع الصحيح ، لمحمد بن إسماعيل البخاري ، ط المكتبة العصرية ، ط دار الحديث بالأزهر .
(11)الجامع الصحيح ، لمسلم بن الحجاج بن مسلم ، ط دار المعرفة بيروت
(12) تأريخ بغداد ، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ، ط دار الكتاب العربي بيروت .
(13)تفسير ابن جرير الطبري ، ط دار الكتاب العربي بيروت (1403هـ - 1983م).
(14)تفسير القرآن العظيم ، لعماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي ، ط مكتبة الصفا 1425هـ 2004م .
(15) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، ط مؤسسة الرسالة 1421هـ - 2000م .
(16)روائع البيان في تفسير آيات الإحكام ، لمحمد علي الصابوني ط دار الصابوني .
(17)سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث السجستاني ، ط دار الكتب العلمية .
(18) في ظلال القرآن ، لسيد قطب ، ط دار إحياء التراث العربي بيروت ، 1386هـ .
(19) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لنور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي ط دار الكتب العلمية .

(20) مسند الإمام أحمد ، لأحمد بن محمد بن حنبل ، ط المكتب الإسلامي (فهرس الألباني) .
(21) المعجم الكبير ، لسليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني . ط الزهراء .